مجلــــة العلـــــوم التربـــوية والدراســـات الإنســانيــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

المصادر الداخلية الخاصة في التلقي والاستدلال عند الصوفية العلم اللّدني – أنموذجاً(*)

الباحثة/ أمل عبد العزيز حسن الظفيري
ماجستير عقيدة - جامعة أم القرى
Amal-an34@hotmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 17/2/2022 تاريخ قبوله للنشر 16/3/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

المصادر الداخلية الخاصة في التلقي والاستدلال عند الصوفية
العلم اللّدني – أنموذجاً

الباحثة/ أمل عبد العزيز حسن الظفيري
ماجستير عقيدة - جامعة أم القرى

ملخص البحث

تناول هذا البحث أهم مصادر التلقي والاستدلال عند الصوفية وما تفرع منها، وما خالطها من انحراف وضلال أخرجها من دائرة الحق، مع بيان تعدد المصادر الداخلية وتنوعها بحسب مراحل تطور التصوف ونشأته، واختلاف طوائف الصوفية في بيان مصادرها التي تطور من خلالها الفكر الصوفي حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم. وقد استعرضت هذا الموضوع في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: العلم اللَّدني. وفيه:

التعريف بالعلم اللَّدني عند الصوفية وأهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: الكشف، وفيه:

تعريف الكشف ومنزلته عند الصوفية وقول أهل السنة والجماعة فيه.

المبحث الثالث: وسائل الوصول إلى الكشف وفيه؛ إدعاء رؤية الله عزوجل في الدنيا والتلقي عنه بلا واسطة، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظةً والاجتماع به بعد موته، والإلهام، والهواتف، والرؤى والمنامات وغيرها من الوسائل.

الخاتمة وفيها أهم النتائج، منها:

– عدم تقيد الصوفية بالكتاب والسنة الصحيحة كمصدرين للتلقي والاستدلال.

– تنوع مصادر التلقي والاستدلال عند الصوفية بحسب الأهواء والأشخاص.

– العلم اللَّدُنِّيُّ هو أساس المعرفة والاستدلال عند الصُّوفيَّة، وإن اختلفت وسائل الحصول عليه، وهو مرتعٌ خصبٌ لنشر خرافات الصُّوفيَّة، واختراعات كراماتهم.

الكلمات المفتاحية: الصوفية، التلقي، الاستدلال، العلم اللّدني، الكشف.

Private internal sources in reception and inference at Sufism, the secular science as a model

Researcher. Amal Abdul-Aziz Hassan Al-Dhafiri
Master of Faith - Umm Al-Qura University

Abstract

Research Title: Sources of Reception and Inference with Sufists. Prepared by: Amal Abdul-Aziz Al-Dhufairi, a researcher of master's at Umm Al-Qura University.

In it she dealt with the most important sources of reception and inference with Sufism and what branches it has, and the deviation and misguidance it contains, which made it away from the truth. This study stated the multiplicity and diversity of internal sources according to the stages of Sufisms development and emergence. This research viewed the difference between the sects of Sufism in explaining their sources through which Sufi thought developed until it reached what It is today.

She presented this topic in an introduction, three chapters, and a conclusion. The first topic is the intuitive (ladaunni) knowledge and its importance in Sufism. This section contains definition of intuitive (ladaunni) knowledge and the means of reaching it such as supplication, seeing Allah in this world, reception from Him without an intermediary, seeing the Prophet PBUH while awake, meeting with him after his death, inspiration, whispers, visions, dreams and other means.

The second topic: Dhawq (Tasting), which includes:
Definition of tasting and its importance in the Sufi thought.
The third topic: Wajd (passionate love and ecstasy), which includes: Definition of passionate love and ecstasy and viewing its status in Sufism.

The conclusion contains the most important results, including:
- Sufism is not bound by the Quran and the sound Sunnah as sources of reception and inference.
- Diversity of sources of reception and inference in Sufism according to whims and persons.
- Intuitive (Ladunni) knowledge is the basis of Sufi knowledge and inference, even if the means of acquiring it differ. It is a fertile breeding ground for the dissemination of Sufi superstitions, and the inventions of their Karamat (miracles).

Key words: mysticism, sufism, deductive inference, inference, Reception, perceiving ,reveal, knowledge of the heart, Divine knowledge.

المقدمة

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، جدد الله به رسالة السماء، وأحيا ببعثته سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وألحقنا بهم في عليين.

إن مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند كل طائفة هي العامل الرَّئيس في تكوين الفكر لديها، ومن خلالها يتم تحديد النهج الذي تنتهجه وتحْتكم إليه في جلّ أمورها، ومن نصوصها يستقون آرائهم، فما أحقته فهو الحق وما أبطلته فهو الباطل.

ومصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة القول فيها كالقول في تَّعريف ونشأة التصوف من حيث اختلاف التعريفات وتاريخ نشأة التصوف، فقد اختلف العلماء في تحديد مصادر التَّلقِّي والاستدلال، وقد قسمها البعض إلى مصادر خارجيَّة وأخرى داخليَّة، وأدرج بعضهم تأثر بعض الطَّوائف الصُّوفيَّة بالدِّيانات الشَّرقيَّة والفلسفة اليونانيَّة وتأثرهم باليهوديَّة والنَّصرانيَّة ضمن المصادر الخارجيَّة، ولعلَّنا لا نعتبر هذا التَّأثُّر مصدرًا مباشرًا للتَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة، ولكن يمكن القول بأن الصُّوفيَّة لم تسلم من التَّأثُّر الخارجيّ بما أحاط بها من الدِّيانات، وقد استقت بعض أفكارها من هذه المؤثرات الخارجيَّة بحكم الالتصاق والمخالطة، وجانب من الإعجاب والجهل بحكم محاكاة ما لا يصحُّ تقليده؛ لعدم صحَّتِه من جهة، وعدم اعتباره وسيلة صحيحة للوصول إلى الغايات الشَّرعيَّة المطلوبة من جهة أخرى، كتقليدهم للنَّصارى في رهبانيتهم وخلواتهم في الصَّوامع.

وأما مصادر التَّلقِّي الداخليَّة عند الصُّوفيَّة، فكل مرحلة من مراحل التَّصوُّف تحدثت عن مصادرها في التَّلقِّي والاستدلال، وأتت بأقوالٍ متضاربةٍ، فتارة نجدهم يُنَظِّرون بأهمية الرُّجوع للكتاب والسُّنَّة وعرض الأقوال والأعمال عليها، فما وافقهما فهو حق وما خالفهما فهو باطل مردود، ويقول بذلك من هم في الطَّبقة الأولى من زهاد الصُّوفيَّة كذي النُّون المصري(١) في قوله: (علامات المحبِّ لله: متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم، في أخلاقه، وأفعاله، وأوامره، وسُنَنِه)(٢).

---

(١) ذو النون بن إبراهيم أبو الفيض المعروف بالمصري أصله من النوبة، قيل: إن اسمه ثوبان، وذا النون لقب له. وقد أسند عنه أحاديث غير ثابتة، كان حكيما فصيحا زاهدا، وكان واعظا. وقال الدارقطني: روى عن مالك أحاديثَ فيها نظر، وتستشهد الصُّوفيَّة بكثير من مقالاته، توفي سنة ست وأربعين ومئتين. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣٧٣/٩). وتاريخ الإسلام (١١٣٦/٥).

(٢) الرسالة القُشيريَّة القُشيري، ت: القاضي زكريا الأنصاري، (ص: ٤٣). ط: دار جوامع الكلم - القاهرة ٢٠٠٧م.

وأبي سليمان الدَّارانيِّ رحمه الله(١) في قوله: "ربما يقع في قلبي النُّكتة من نُكَتِ القوم أيَّامًا، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسُّنَّة"(٢)، ويقول الجنيد رحمه الله: "من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن عِلمَنا مُقَيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة"(٣)، ويقول أيضًا: "مذهبنا هذا: مقيَّدٌ بأصول الكتابِ والسُّنَّة"(٤). ويشهد لهذه الطَّبقة من الزُّهَّاد الأوائل الذين عُرِفوا بلزوم الكتاب والسُّنَّة وأطلق عليهم في ذات الوقت اسم الصُّوفيَّة أو الزُّهَّاد، وعَدَّهم الصُّوفيَّة من شيوخهم وكبرائهم بسلامة المعتقد من قبل أهل العلم وإن لم يَخلُ من بعض المآخذ السُّلوكيَّة التَّعبُّديَّة(٥).

بينما عند التَّرقِّي في طبقات الصُّوفيَّة المتأخِّرة عن الصُّوفيَّة الأوائل؛ نجد أن منهم من يجعل العِلم بالكتاب والسُّنة من العلوم التي لا تليق بالصُّوفيِّ، فنراهم قد حادوا عن الأخذ بالكتاب والسُّنَّة، وعدُّوا الأخذ بهما من الجهل الذي لا يَليق بالمريد، فنجد أبا سليمان الدَّارانيَّ رحمه الله في قول آخر يُنسب له يقرر خلاف ما قرره آنفًا فيقول: "ثلاثٌ من طَلَبَهُنَّ فقد رغب في الدُّنيا: من طلب معاشًا، أو تزوج، أو طلب الحديث"(٦). فإنها تشغله عن طلب الآخرة والتَّرقِّي في مقامات التَّصوُّف. فيقول أبو الفضل الأحمديُّ(٧): "لا تقطعوا بما عَلِمْتموه من الكتاب والسُّنَّة، ولو كان حقًّا في نفسه"(٨). وكما مرّ معنا آنفًا من مرويَّات الداراني رحمه الله وغيره من المُتصوِّفة في سياقِ ذمِّ الأخذ بالكتاب والسُّنَّة، وهذه الأقوال: إمَّا منسوبة لهم ولا تَصِحُّ نسبتها إليهم، وإمَّا يُقَرِّرونها – أي الأخذ بالكتاب والسُّنَّة– في أقوالهم تَقِيَّةً واستتارًا؛ حتى لا يُشنَّعَ عليهم من قِبَلِ أهل العِلْمِ، وترد أقوالهم ويكونوا مَحَلَّ اتِّهامٍ ورَزِيَّةٍ. وإمّا لأنَّهم في حقيقة الأمر لا يأخذون النُّصوص الشَّرعيَّة بظاهر معانيها كما فَهِمَها السَّلف، بل يُؤَوِّلون معانيَها لمعانٍ باطنة يدّعون اختصاصهم بفهمها

---

(١) عبد الرحمن بن عطية، ويقال: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية وهو من أهل داريا قرية من قرى دمشق، أسند الحديث، قال ابن حبان: من أفاضل أهل زمانه وعبادهم وخيار أهل الشام وزهادهم ما له كثير حديث مسند يرجع إليه، توفي سنة خمس عشرة ومئتين. انظر ترجمته في: الثقات لابن حبان (٣٧٦/٨)، والطبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ٧٤).

(٢) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥٦).

(٣) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٦٤).

(٤) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٦٤).

(٥) انظر: كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ت: محمد رشاد سالم، (٨٢/١)، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة ١٩٩١م.

(٦) قوت القلوب لأبي طالب المكي، ت: محمود إبراهيم الرضواني (١٦٢٤/٣). ط: دار التراث - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٧) أبو الفضل الأحمدي، صوفي أخذ الطريق عن علي الخواص وبركات الخياط، وصحب عبد الوهاب الشعراني خمس عشرة سنة، ورُويت عنه قصص وحكايات وأباطيلُ كثيرةٌ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وتسع مئة. انظر ترجمته في: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين محمد بن محمد الغزي (٩٥/٢)، ولواقح الأنوار القدسية للشعراني، (٩٨٦/٢).

(٨) الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، (١٧٣/٢).ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٣، ٢٠١٨م.

دون ما سواهم. وعليه كان تقسيمهم للعلم: علم حقيقة، وهو علم الباطن وتختص به الصُّوفيَّة، وعلم شريعة، وهو علم الظَّاهر يَعرفه عامَّة المسلمين.

ويمكن إجمال ما انتهتْ إليه مصادر التَّلقِّي والاستدلال الداخلية عند الصُّوفيَّة بالآتي:

أولًا: العِلم اللَّدُنِّي.

ثانيًا: الذَّوق.

ثالثًا: الوَجد.

وسأكتفي بذكر العلم اللّدني ووسائل تحصيله في هذا البحث.

ولبيان أهداف الموضوع وإظهار أهمِّيَّته، وزيادة الإيضاح له، فإنِّي سأعرض لذلك فيما سيأتي مِنَ المحاور المنتظمة في النِّقاط التَّالية:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- حفظ عقيدة المسلم مما يُنافيها أو يقدح في كمالها في مصادر التشريع والعبادة.

٢- ظنُّ كثيرٍ مِنَ العامَّة وبعض الخاصَّة صحة بعض المصادر الصوفية في تلقي الأوامر والأحكام كالرؤى والمنامات وأقوال الأئمة المتبعون، واعتمادها في العقائد والتشريعات.

٣- عدم إدراك البعض ما تتضمَّنه بعض وسائل الكشف الصوفية مِنْ مآخذ عقديَّةٍ.

٤- المساهمة في دحض الافتراءات في نسبة الصُّوفيَّة بعض المصادر إلى بعض أهل العلم والصَّالحين، وهم منها براءٌ.

٥- ارتباط الموضوع بجانبٍ مهمّ مِنْ جوانب الدِّين وهو النَّصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعامَّة المسلمين، وبشعيرةٍ عظيمةٍ هي مِنْ أعظم شعائره وهي الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

حدود البحث:

الاقتصار في حدود البحث على العلم اللّدني التي تدعيه الصوفية في مصادر التلقي والاستدلال لديهم، حيث يغطي هذا العلم المزعوم جانب كبير في عقائد الصوفية وتشريعاتهم.

الدراسات السابقة:

تناول عدد من الباحثين موضوع مصادر التلقي والاستدلال عند الصوفية بصورة عامة، وبتفصيلات كثيرة، وقد آثرت البحث في مصدر العلم اللّدني في التلقي والاستدلال دون باقي المصادر لأهميته عند الصوفية فهو حجر الأساس الذي تقوم عليه باقي المصادر.

ومن الدراسات السابقة التي كان بمثابة المرجع الأول لهذا البحث وهو "المصادر العامَّة للتلقِّي عند الصُّوفيَّة عرضًا ونقدًا"، للأستاذ الدُّكتور صادق سليم صادق نُشر عام (١٤٢٧هـ)، في دار التَّوحيد – الرِّياض.

ذكرَ المؤلِّف فيه أنَّ سبب تأليفه للكتاب هو جمعه لموضوعات الكتاب في سفرٍ واحدٍ، يتضمَّن جميع مصادر التَّلقِّي عند الصُّوفيَّة، مع بيان ما فيها مِنَ الأباطيل والضَّلالات، ذاكرًا مصادر التَّلقِّي كذلك عند أهل السُّنَّة والجماعة، وعند كُبرى الفرق الإسلاميَّة. إلاّ أن المؤلف أسهب في تفريع مصادر التلقي والاستدلال عند الصوفية الخارجية والداخلية.

منهج البحث:

إنَّ المنهج الَّذي سرتُ عليه في هذه البحث هو منهج أهل السُّنَّة والجماعة والسَّلف الصَّالح في الاستدلال وتقرير المسائل والرَّدِّ على المُخالفين، وراعيتُ في ذلك قواعد البحث العلميّ، وسلكتُ منهج الاستقراء والاستنباط والتَّحليل والنَّقد، القائم على تتبُّع الأقوال المتعلقة بمصادر التشريع عند الصُّوفيَّة.

ويمكن إبراز هذا المنهج بالنِّقاط الآتية:

١- جمعتُ واستقرئتُ ما أمكن مِنَ أقوال المشتهرة المتعلقة بمصادر التلقي والاستدلال عند الصُّوفيَّة مِنْ مصادرها الأصليَّة.

٢- بوَّبتُ هذه المصادر بحسب تقسيمات البحث.

٣- عرَّفتُ بشكلٍ مُبَسَّطٍ بمصادر التلقي والاستدلال الداخلية عند الصوفية الَّتي تناولتها في بحثي وَفْقَ منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

٤- استخرجتُ المآخذ العقديَّة المخالفة للكتاب والسُّنَّة مِنْ هذه المصادر.

٥- ذكرتُ ردود أهل السُّنَّة والجماعة على هذه المصادر.

٦- قمتُ بنقد مصادر التلقي والاستدلال الداخلية عند الصُّوفيَّة نقدًا علميًّا لإظهار الحقِّ وبيانه.

تقسيمات البحث:

وقد قَسمّتُ هذا البحث إلى مقدِّمةٍ وثلاثة مباحث:

المقدِّمة.

المبحث الأوَّل: العلم اللّدني وفيه مطلبان:

الأول: تعريف العلم اللّدني عند الصوفية.

الثاني: تعريف العلم اللّدني عند أهل السنة والجماعة..

المبحث الثَّاني: الكشف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الكشف لغةً.

المطلب الثاني: الكشف في اصطلاح الصُّوفيَّة.

المطلب الثالث: قول أهل السُّنَّة والجماعة في الكشف.

المطلب الرابع: منزلة الكشف عند الصُّوفيَّة.

المبحث الثَّالث: وسائل الوصول إلى الكشف الصُّوفي وفيه مسائل:

١ – التلقي عن الله عزوجل مباشرة.

٢ – رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته.

٣– رؤية الخضر عليه السلام والتلقي عنه.

٤ – الهواتف.

٥– الإلهام.

٦– الفراسة.

٧– الرؤى المنامية.

٨– الإسراءات والمعاريج.

المَبحث الأوَّل: العِلم اللَّدُنِّي

جَعلْتُ الصُّوفيَّة للمعرفةِ منهجًا قائمًا على التَّأمُّل والمجاهدات والرِّياضات الرُّوحيَّة، حيث تُوصِلُهم هذه المجاهداتُ إلى الحقائق والمعارف التي تَعجز العقول عن إدراكها والنُّقول عن تسطيرها. والمعرفة لدى الصُّوفيَّة هي الوصولُ لله وإدراك مراده جل جلاله من خلال الحدس وما يَقَرُّ في القلب من علم يُوهَب بلا كسبٍ من العبد ولا تَعلُّمٍ. وهو ما يُطلق عليه العِلم اللَّدُنِّي، ويُقصد به العلم من لَدُنِ الله عزوجل؛ أي من عند الله.

المطلب الأول: تعريف العِلم اللَّدُنِّي عند الصُّوفيَّة:

"هو العلم الذي يَقذِفُه الله في القلب إلهامًا بلا سببٍ من العبد، ولهذا سمي لَدُنيًّا والله عزوجل هو الذي عَلَّمَ العباد ما لا يعلمون { عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [سورة العلق: ٥]. هذه هي حقيقة العِلم اللَّدُنِّي عند الصُّوفيَّة، وقد كثر في عباراتهم وإطلاقاتهم"(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "يُشير القوم بالعِلم اللَّدُنِّي إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله، وتعريف منه لعبده، كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى، قال الله تعالى: { {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾} [سورة الكهف: ٦٥]"(٢).

المطلب الثاني: تعريف العِلم اللَّدُنِّي عند أهل السُّنَّة والجماعة:

ويتضح معنى العِلم اللَّدُنِّي عند أهل السُّنَّة والجماعة بقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: "وأما العِلم اللَّدُنِّي: فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصَّالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتِّباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم"(٣).

ويُعرفه ابن القيم رحمه الله بقوله: "العِلم اللَّدُنِّي ثمرة العُبوديَّة والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله صلى الله عليه وسلم. وكمال الانقياد له. فيفتح له من فهم الكتاب والسُّنَّة بأمر يخصه به، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه – وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس؟ – فقال: «لا، والذي فَلَقَ الحبَّة، وبَرَأَ النَّسَمَة. إلا فهما يؤتيه الله عبدًا في كتابه(٤)، فهذا هو العِلم اللَّدُنِّي

(١) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ للشيخ بكر أبو زيد (ص: ٣٨٥) ط: دار العاصمة - الرياض، ١٩٩٦م

(٢) مدارج السالكين لابن القيم، ت: عامر بن علي ياسين، (٥٣٢/٢)، ط: دار ابن خزيمة - الرياض. الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

(٣) مجموع الفتاوى مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ت: عامر الجزار وأنور الباز (١٣١/١٣)، ط: دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (٧٤٤/٢) رقم (٣٠٤٧) بنحوه.

الحقيقي...»"(١).

وبقول هذين الإمامين رحمهم الله يتَبين لنا أن العِلم اللَّدُنِّي مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بصلاح العبد، ومدى استجابته لِما جاء بالكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، وكمال الانقياد والاتِّباع لهما. فبقدر استقامة العبد على الجادَّةِ ولزوم طريق الحق يكون فتح الله سبحانه وتعالى عليه في الفهم والعلم والعمل.

وعند أهل التَّصوُّف يمكن الوصول إلى هذا العِلم اللَّدُنِّي عن طريق الكشف الذي هو معتمد التَّلقِّي والاستدلال لديهم، والذي يتحصل من طُرقٍ كثيرةٍ سأذكرها لاحقًا بعد التَّعريف به، وذكر أقوال أهل العلم فيه.

المبحث الثاني: الكشف:

المطلب الأول: تعريف الكشف لغةً:

– الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سَرْوِ الشَّيء عن الشيء، كالثَّوب يُسْرَى عن البدن(٢).

– رفعك شيئًا عمَّا يُواريه ويُغطِّيه، كرفع الغطاءِ عن الشَّيء(٣).

المطلب الثاني: الكشف في اصطلاح الصُّوفيَّة:

– الاطِّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغَيبيَّة، والأمور الحقيقيَّة وجودًا وشهودًا(٤).

المطلب الثالث: قول أهل السُّنَّة والجماعة في الكشف:

قد جاء ذكر الكشف بمعناه الحق، والرد على معانيه الباطلة عند كثيرٍ من أعلام السُّنة، منهم شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيم رحمهم الله.

فقال شيخ الإسلام رحمه الله في معناه: "فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم فيفعلون ما أَمر به ويَنتهون عمَّا عنه زجر، ويَقتدون به فيما بيّن لهم أن يتبعوه فيه، فيُؤَيِّدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يُكرم الله بها أولياءه المُتَّقين"(٥).

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم، ت: عامر بن علي ياسين، (٢/٤٤٦). ط: دار ابن خزيمة ـ الرياض. الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، (٥/١٨١). ط: مكتبة الخانجي ـ القاهرة ط: ٣، ١٩٨١م.

(٣) كتاب العين، للخليل الفراهيدي ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (٥/٢٩٧) ط: دار ومكتبة الهلال. بدون تاريخ طبعة.

(٤) التعريفات، الجرجاني، ت: محمد المرعشلي، (ص: ٢٦٥). ط: دار النفائس – بيروت، ط: ٣، ٢٠١٢م. ومعنى الوجود: فقدان العبد بمَحْقهُ أوصاف البشرية ووجود الحق؛ لأنه لا وجود للبشرية عند ظهور سلطان الحقيقة. الشهود هو: رؤية الحق بالحق. انظر:(ص ٣٤٤، ٢٠٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/١٥٢).

وقال ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن مكائد الشَّيطان التي يَكيد بها ابنَ آدم: "ومن كيده: ما ألقاه إلى جُهَّال المُتصوِّفة من الشَّطِح[١] والطامَّات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والتُّرَّهات، وفتح لهم أبواب الدَّعاوى الهائلات، وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقًا إنْ سلكوه أفضى بهم إلى كشف العِيان، وأغناهم عن التَّقيُّد بالسُّنة والقرآن"[٢]. وفي ذكره للكشف بمعناه الصَّحيح الموافق للشرع والموجود حقيقةً، وأنه أعظم مطلوب يَزيد العبدَ قُربًا من الله جل جلاله، يقول: "... وأما أتباع الرسل، فقد أغناهم الله بما جاءت به الرسل من العلوم النافعة والأعمال الصَّالحة عن هذا كله، فلا يعتنون به – يعني الكشف بمعناه الباطل – ولا يجعلونه من مطالبهم المهمة؛... وهممهم لا تقف عند شيء من ذلك، بل هي طامحة نحو كشف ما جاء به الرَّسول من الهدى ودين الحق في كل مسألة، وهذا أعظم الكشوف وأجله وأنفعه في الدَّارين، مع كشف عيوب النَّفس وآفات الأعمال..."[٣].

والكشف معنًى عامٌ تندرج تحته معانٍ أُخرى، هي وسائلُ للوصول إليه؛ كالتَّلقِّي عن الله جل جلاله مباشرة، ورؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظةً أو منامًا، ورؤية الخَضِر عليه السلام، والإلهام، والفراسة، والهواتف، والرُّؤى المناميَّة[٤].

المطلب الرابع: منزلة الكشف عند الصُّوفيَّة:

للكشف منزلةٌ عظيمةٌ لدى الصُّوفيَّة، ويُعتبر المصدر الرَّئيس لديهم للتَّلقِّي والاستدلال للعلم والمعرفة، وبه يتوصلون لأعلى درجات اليقين، وإليه يحتكمون في جُلّ أمورهم، بل يجعلونه من مصادر تشريع العبادات أمرًا ونهيًا، فهو ذو قُدسيَّة مَحضةٍ، كان لهم منه النَّصيب الأوفرُ دون الخلائق كما يَزعمون. وقد تناولته الصُّوفيَّة في كتبها وأكثروا في ذلك؛ مُدَلِّلينَ له ومُفَصِّلِينَ في طرائقه وأقسامه، وما ذلك إلَّا لعظيم شأنه في نفوسهم.

وممن أكثر من ذكره وبيانه الغَزَّالي رحمه الله في كتابه الإحياء، حيث يقول بعد أن عدَّد الأسباب في تحصيل الكشف: "... فبواسطة هذه الأسباب يكون سببًا للكشف، بل القلب إذا صفا ربما يمثلُ له الحق في صورة مشاهدةٍ، أو في لفظ منظوم يقرع سمعه؛ يُعبَّر عنه بصوت الهاتف

---

(١) الشطح: عبارةٌ مستغربةٌ في وصف وَجْدٍ فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته. انظر: اللمع (ص: ٤٥٣). قلت: إنما الشطح هو حالة هذيان تتملك الصُّوفي حين تستحوذ عليه الشياطين، فيصدر منه من الأقوال والأفعال التي تَمُجُّها العقول، فيهذي هذيان السكارى والمجانين. ويعتبر الشطح أحد وسائل وحجج الصُّوفيَّة لتمرير عقائدهم الباطلة وأقوالهم المنكرة.

(٢) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم، ت: علي بن حسن الحلبي، (٢٢٩/١) ط: دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ ج.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، (٣٠٣/٢)، ط: زمزم للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

(٤) سيأتي مزيد بيان في تفصيلها لاحقًا.

إذا كان في اليقظة، وبالرُّؤيا إذا كان في المنام..."(١).

ومُراد القوم بالمكاشفة: أن تظهر الواردات القلبيَّة ظهورًا جليًّا لا يَعتريه شكٌّ ولا رَيْبٌ، وتتجلى لهم كرؤية العين معتقدين حقيقتها وواقعيتها ومتيقنين بوجودها حقيقةً لا خيالًا(٢).

المبحث الثالث: وسائل الوصول إلى الكشف الصُّوفي.

١- التَّلقِّي عن الله عزوجل مباشرة:

يزعم أهل التَّصوُّف التَّلقِّي مباشرة عن الله عزوجل، سواء مهاتفة أو بما يُلقيه جل جلاله في روع أحدهم، ويختلفون بحقيقة رؤيته عزوجل بعين البصر أم بعين البصيرة(٣). فنُقل عن طائفة منهم القول بجواز رؤية الله عزوجل في الدُّنيا حقيقةً. ذكر ذلك الكلاباذي قائلًا: "زعم بعض النَّاس أن قومًا من الصُّوفيَّة ادَّعَوْها لأنفسهم، وقد أطبق المشايخ كلهم على تضليل من قال ذلك..."(٤).

وفي قولهم برؤية الله جل جلاله الرُّؤية القلبيَّة – عين البصيرة – من الرِّوايات والمنقولات ما تعجز الأقلام عن تسطيره في الكتب، فهم يتنافسون بحشد كتبهم بروايات الرُّؤية، مما لا زمامَ لها ولا خطامَ، ولم يسلم منها أحد حتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم.

الرد على من قال بجواز رؤية الله عزوجل في الدُّنيا:

وفي إبطال القول برؤية الله جل جلاله في الدُّنيا كثير من الأدلَّة النَّقليَّة والبراهين العقليَّة، التي تَمنع الرُّؤية شرعًا وإن كانت مُمكِنَةً عقلًا. وسنقتصر على البعض منها دون استفاضة:

– الدَّليل من القرآن: قال الله عزوجل: { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾} [سورة الأنعام: ١٠٣]، في بيان استحالة رؤية الله سبحانه تعالى في الدُّنيا.

– الدَّليل من السُّنة قوله صلى الله عليه وسلم: «تَعَلَّموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه حتى يموت»(٥).

– الدَّليل من أقوال السَّلف: قال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد رحمه الله(٦) بعد إيراده لأدلة

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٤٩٤) ط: دار المنهاج - جدة، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٥١).

(٣) البصيرة: نورٌ يقذفه الله في القلب، يَرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأي العين، فيتحقق انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم. انظر: مدارج السالكين، (١/١٩٠).

(٤) التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف، أبي بكر الكلاباذي، ت: آرثر جون أربري،(ص: ٢٢). ط: مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٤م.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه-كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر ابن صياد (٩/٢٦١) رقم (٧٢٨٣).

(٦) هو الإمام الحافظ عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، المُكنَّى بأبي سعيد، أحد أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم، وأحد رواة الحديث النبوي، جالس الأمام أحمد بن حنبل، كان جذعا في أعين المبتدعين. وصنف مسندا كبيرا، ومن أشهر كتبه الرد على الجهمية وكتاب الرد على بشر المريسي. توفي في هراه في ذي الحجة سنة ثمانين ومئتين. انظر ترجمته في: تاريخ دمشق (٣٨/٣٦١). وتاريخ الإسلام (٦/٥٧٤).

رؤية الله عزوجل يوم القيامة وعدم رؤيته في الدُّنيا: "...لاجتماع الكلمة من الله ورسوله، ومن جميع المؤمنين أن أبصار أهل الدُّنيا لا تُدركه في الدُّنيا"[١].

– الدَّليل العقلي: لو كانت رؤية الله عزوجل مُتحقِّقةً بالدُّنيا شرعًا، لكان موسى عليه السلام أَوْلى الخلق برؤيته سبحانه تعالى، فقد سأل الله عزوجل أن يراه، فكان الجواب: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الأعراف: ١٤٣].

٢- رؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظةً:

إنَّ رؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته من أوسع مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة رواجًا، وأكثرها رواية في تراجمهم ومصنفاتهم، ولا تخلو طائفةٌ من طوائفهم إلَّا كان النَّصيب الأوفر من مرويَّاتها ووصاياها مما يَزعمون تَلَقِّيها من النَّبي صلى الله عليه وسلم يقظةً بعد وفاتِه. بل نجد في طيَّات هذه المرويَّات التي يَزعمون من التَّشريعات والأحكام المخالفة لما جاءت به النُّصوص الشَّرعيَّة ما أنزل الله به من سلطانٍ.

وأقوالهم في هذا الباب كثيرةٌ لا حصرَ لها، وهي مما يتباهى بها القوم ويعلنونه، ويرون هذه المنزلة – الاجتماع مع النَّبي صلى الله عليه وسلم والأخذ منه يقظةً بعد موته – منزلة رفيعة لا تنال، إلَّا إذا بلغ الصُّوفيُّ فيها مكانًا عليًّا، ومما ينقل في هذا ما ذكره الكلاباذي عن أحدهم فيقول: "...فكانت العادة قد جرت له أنه كان يرى النَّبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة اثنين وخميس فيسأله مسائلَ فيجيبه عنها..."[٢].

ويُنقل عن عبد القادر الجيلاني رحمه الله أنه قال: "ما من نبيٍّ ولا ولي إلَّا وحضر مجلس الأحياء بأجسامهم، والأموات بأرواحهم"[٣]. ومن عجائب ما نَقَلَ الشَّعراني[٤]: أن جماعةً باليمن يُلقِّنون المريدَ[٥] الصَّلاة والسَّلام على النَّبي صلى الله عليه وسلم ويشغلونه بها حتى إذا أصبح

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي(٨٢١/٢)، ت: رشيد بن حسن الألمعي، ط: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٢) التَّعرُّف (ص: ١١٩).

(٣) الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، لأبي الفضل الشاذلي. ت: أحمد السايح وتوفيق وهبة. (ص: ٤٧) ط: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

(٤) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، الأنصاري، الشافعي، الشاذلي، المصري يكنى بأبي المواهب، فقيه، أصولي، محدث، من علماء المتصوفين، مشارك في أنواع من العلوم. ولد في قلقشندة بمصر في ٢٧ رمضان، من تصانيفه الكثيرة: الجوهر المصون والسر المرقوم، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، المقدمة النحوية في علم العربية، وشرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه، توفي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة. انظر ترجمته في: الأعلام (١٨٠/٤)، ومعجم المؤلفين (٢١٨/٦).

(٥) تعريف المريد: من انقطع إلى الله عن النظر والاستبصار، وتجرد عن إرادته؛ إذ علم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده الله لا ما يريده غيره، فيمحو إرادته في إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٣٠٣)، ت: عبد الحميد صالح حمدان. ط: عالم الكتب - القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

من المكثرين "يصير يجتمع بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يقظةً ومشافهةً، ويسأله عن وقائعه كما يسأل المريد شيخه من الصُّوفيَّة"(١).

والكشف الذي يحصل بالأخذ عن النَّبي صلى الله عليه وسلم له صور عند الصُّوفيَّة، فمن كَمُل في التَّرقِّي وبلغ أعلى مقامات(٢) التَّصوُّف، فإن الأخذ عن النَّبي صلى الله عليه وسلم يكون يقظة باجتماعه به وتلقي الخطاب منه مشافهة. فيسألونه عن الأحاديث التي ترد عليهم فيُصحح عليه السلام ما يَصِحُّ منها ويضعف ما ضَعُف. ولا يقتصر التَّلقِّي على التَّصحيح والتَّضعيف، بل يَتَعَدَّاه إلى رواية ما لم يرو في حياته صلى الله عليه وسلم. كما يزعمون تلقيهم للأحكام الشَّرعيَّة منه صلى الله عليه وسلم ويستشيرونه فيما يَطرَأُ عليهم من أحداثٍ، بل يبلغ بهم الأمر أن يسألوه صلى الله عليه وسلم عن أمورٍ غيبيَّةٍ مستقبليَّةٍ، كما يتلقون عنه صلى الله عليه وسلم الأذكار والأوراد اليوميَّة، وفضائل الأشخاص ومثالبهم. وهم في ذلك متفاوتون كلٌّ بحَسَبِ حاله ومقامه. فمنهم من يراه بعين رأسه، ومنهم من يراه بعين قلبه، أو يكون الاجتماع به صلى الله عليه وسلم بالأرواح لا بالأبدان. وكل هذه الأمور هي من خرافات الصُّوفيَّة وهرطقتهم، لا من دليل شرعي صحيح يثبت زعمهم.

الرَّد على من قال برؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم يقظةً بعد موته:

– أنّ ادِّعاء رؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته مُنافٍ لصريح الأدلَّة القاطعة بموته. كقوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [سورة الزمر: ٣٠].

– أنه لو كانت رؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظةً مُتحقِّقةً، لكان أولى النَّاس برؤيته هم الصَّحابة رضي الله عنهم؛ لأنَّهم أشد النَّاس له حُبًّا، وأكثرهم به اقتداءً، وقد وقع بينهم من الخلافات ما احتيج للفصل فيها، كما اختلفوا في رواية بعض الأحاديث فيما بينهم، ومن أعظم المسائل التي وقع فيها الخلاف بينهم مسألة محل دفن النَّبي صلى الله عليه وسلم وكيفيَّة غسله، ومع هذا لم يَدَّعِ أحدٌ منهم بأنَّه رأى النَّبي صلى الله عليه وسلم يقظةً بعد موته أو طلب مشورته أو سأله في حديث أصحيح هو أم ضعيف؟ كما تدعي الصُّوفيَّة. والأدلَّة على نقض هذا الأمر كثيرة ومستفيضة(٣).

---

(١) انظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصُّوفيَّة للشعراني، ت: عبد الباقي سرور ومحمد الشافعي، (٣٢/١). ط: مكتبة المعارف ـ بيروت، ١٩٨٨م بدون تاريخ طبعة.

(٢) جمع مقامٍ وهو: "مقام العبد بين يدي الله عزوجل، فيما يُقام فيه مِنَ العبادات والمجاهدات والرِّياضات والانقطاع إلى الله عزوجل" انظر: كتاب اللُّمع، أبي نصر السَّرَّاج الطُّوسي، ت: محمد أديب الجارد، (ص:٦٥)، ط: دار الفتح – الأردن، ط: ١، ٢٠١٦م. وعليه فيكون المقام هو نتيجةٌ لعبادة الصُّوفيّ ومجاهداته.

(٣) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصُّوفيَّة. صادق سليم صادق، (ص: ٢٥٤)، ط: دار التوحيد ـ الرياض، الطبعة الثَّانية ٢٠١٦م.

- يلزم من القول برؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته استمرار بقاء الصُّحبة إلى يوم القيامة وفقًا لتعريف الصحابي المشهور. فالصحابي هو كل من لقي النَّبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ومات على الإسلام.

- لم يحفظ هذا الأمر– القول برؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته – أو ينقل عن الأئمَّة من الصَّحابة رضي الله عنهم وتابعيهم وأهل العلم الثقات. وإنما هو من أباطيل الصُّوفيَّة وخرافاتهم.

٣- رؤية الخضر عليه السلام والتَّلقِّي عنه:

من مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند الصُّوفيَّة رؤية الخضر عليه السلام يقظةً وفي المنام، ولقد بالغ أهل التَّصوُّف في تصوراتهم ومرويَّاتهم عن الخضر عليه السلام حتى بلغت حد التَّواتر، فلا يخلو سِفر من أسفارهم من روايةٍ وحكاية عن لقاء الخضر عليه السلام أو تعليمه ووصاياه للأولياء والمريدين، فجعلوه مصدرًا من مصادر التَّشريع والإلهام والعقائد، ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم التي ابتدعوها إليه. وينسبون إليه كثير من شرائعهم المخترعة فهو حاضرٌ في كل مَنحًى من مناحيهم، فتجدهم تارةً يُسندون إليه أورادهم وأذكارهم، وما يترتب عليها من أجورٍ، وتارةً أخرى ينسبون له تفسير آيات القرآن الكريم، ولا تخلو مرويَّاتهم عن ثناء الخضر عليه السلام على أوليائهم وشيوخهم ومؤلفاتهم.

واختلف أهل التَّصوُّف في حال الصُّوفيَّة مع الخضر عليه السلام فمنهم من يجتمع به يقظة وهم العارفون، ومنهم من يراه في المنام وهم الأقل شأنًا كالمريدين. ومنهم من لا يعتقد بوجوده حقيقة، وإنما هو رمز لحالٍ يقع للصُّوفيّ(١). ومما يروى عن الاجتماع به عليه السلام يقظة ما جاء أن سهل بن عبد الله التستري(٢): "أقبل على النَّاس يومًا وتكلم بكلام حسن، فقيل له: لو تكلمت كل يوم مثل هذا كنا قد انتفعنا، فقال: إنما تكلمت اليوم لأنَّه جاءني الخضر عليه السلام، فقال لي: أقبل على النَّاس بوجهك وتكلم عليهم..."(٣).

---

(١) انظر: معجم اصطلاحات الصُّوفيَّة، لعبد الرزاق الكاشاني، ت: عبد العال شاهين، (ص١٧٩)، ط: دار المنار - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

(٢) سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري وكنيته أبو محمد، الزاهد، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال، أسند الحديث، صحب خاله محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج بمكة، توفي سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين ومئتين. انظر ترجمته في: الطبقات الصوفية للسلمي (ص:٦٦). وطبقات الأولياء (ص:٢٣٢).

(٣) انظر: الكواكب الزاهرة (ص: ٣٧٤).

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الخضر عليه السلام:

اختلف أهل العلم في الخضر عليه السلام هل هو نبي أم لا؟ والراجح أنه نبي يوحي إليه، قال بذلك القرطبي في تفسيره: "والخضر نبي عند الجمهور. وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضًا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النَّبي من ليس بنبي"(١).

وتدعي الصُّوفيَّة القول بحياة الخضر عليه السلام إلى قيام الساعة، وفي هذا القول جناية على الأدلَّة الصَّحيحة التي تنفي الحياة عن أحد من البشر وديمومته إلى قيام الساعة – خلا رفع عيسى عليه السلام إلى السَّماء – ومن أدلة نفي القول بحياة الخضر عليه السلام ما يلي:

– قال الله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [سورة الأنبياء: ٣٤].

– قال صلى الله عليه وسلم: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على الأرض أحدٌ»(٢). وهذا على فرض حياة الخضِر عليه السلام في عهد النَّبي صلى الله عليه وسلم. والذي تنفيه الأدلَّة والشَّواهد الكثيرة.

– قال ابن القيم رحمه الله: "الأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته، كلُّها كذبٌ، ولا يصح في حياته حديثٌ واحدٌ"(٣).

٤ – الهواتف:

إنّ للهواتف شأنًا عظيمًا عند الصُّوفيَّة، وتكاد تكون مصدرًا معتمدًا لدى جميع طوائف الصُّوفيَّة؛ فالهواتف كانت وما زالت أحد مصادر التَّشريع والعقائد والمعاملات منذ عهد الصُّوفيَّة الأوائل إلى يومنا هذا، وعليها درجت الصُّوفيَّة وبين ألفاظها تَرَبَّتْ ونشأت، فبالهواتف يحْيَونَ ويتعاملون، وإليها يتحاكمون، وبسببها تتبدل أحوالهم وينقلبون، وبحكاياتها يتندرون، فلا يخلو مجلسٌ من مجالسهم، ولا مُصَنَّفٌ من مُصنَّفاتهم، ولا جيلٌ من أجيالهم؛ إلَّا وكانت الهواتف مُتصدِّرةً عندهم. وحكاياتهم المتعلقة بالهواتف كثيرة لا عدد لها ولا حصر، ولا أعجب من قصة توبة إبراهيم بن أدهم التي تتصدر جلَّ كتب التَّراجم لديهم، والتي قوام ذكرها وحقيقتها وتغيُّر حالِ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: عبد الله التركي وآخرين، (٣٢٥/١٣) ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٦م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب العلم - باب السمر في العلم، (٤٩/١) رقم (١١٦). ومسلم- كتاب فضائل الصحابة - باب: قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم" (٣٠٧/١٦)، رقم (٦٤٢٦).

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، ت: يحيى الثمالي، (ص: ٦٣). ط: دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى.

صاحبِها وتوبته قائمٌ على هاتفٍ سمعه من قربوس – مقدمة – سرجه[١].

تعريف الهاتف لغةً:

الهاء والتاء والفاء: كلمة واحدة، هي الهتف: الصوت[٢].

وقيل: "كل متكلم خَفِيَ عن الأبصار عَيْن كلامه فهو هاتف"[٣].

وجاء في معناه أيضًا: "الصَّوت يُسمع دون أن يرى شخصٌ الصَّائحَ أو مَن يَتكلَّمُ به"[٤].

الهاتف في اصطلاح الصُّوفيَّة:

لم أقفْ على تعريفٍ منضبطٍ لمعنى الهاتف لدى الصُّوفيَّة، إنَّما هي حكايات تدور حول صوتٍ يُسمع دون أن يُعلَمَ مصدرُه. وفي معناه يقول الجيلي[٥]: "وهو ما يرد على قلبك من طريق الخاطر الرباني والملكي فهذا لا سبيل إلى رده ولا إنكاره"[٦]، ويُشير الغَزَّالي إلى معنى الهاتف لدى الصُّوفيَّة بقوله: "...القلب إذا صفا ربما يُمثّل له الحق في صورة مشاهدةٍ، أو في لفظٍ يقرع سمعه، يُعَبَّرُ عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة..."[٧]. ويعد بعض الصُّوفيَّة سماع الهواتف من الكرامات، فقد ذكر القُشَيْرِيّ بعد أن عَدَّدَ جملة من كرامات الأولياء: أن من علامة صدق الولي ظهور الكرامات على يديه ومن هذه الكرامات هي سماع الهواتف[٨].

ومن مرويَّاتهم المشتهرة على ألسنة كبرائهم في الهواتف:

ما ذَكَرَه القُشَيْرِيّ في رسالته: أنَّ شابًّا تَعَلَّقَ بأستار الكعبة تائبًا يَلهَجُ بالدُّعاء ويُلِحُّ في دعائه، حتى أقسم على الله عزوجل بأن يغفر له، فسمع هاتفًا يقول: الفتى عتيقٌ من النَّار[٩]. ففي هذه الرِّواية تَوسُّعٌ وتساهُلٌ في مسألة الإقسام على الله عزوجل، وأنها لكل أحد، فلم يَرِد فيها ما يبيّن حال هذا الشَّاب ومدى صلاحه الذي يَستوجب إجابة دعائه، فالمُقسم لا بد أن تكون منزلتُه عظيمة عند الله عزوجل، كما فيه شهادة للحي بالعتق من النار وهو في الدُّنيا، وهذا مما

---

(١) انظر: القصة بتمامها في الطبقات الصُّوفيَّة، لأبي عبد الرحمن السلمي (ص:١٥).
(٢) مقاييس اللغة (٣٢/٦).
(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب الكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، (ص٩٥١) ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثَّانية ١٩٩٨م.
(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى وآخرون، (ص: ٩٧١). ط: دار الدعوة - القاهرة، ط: ٢، ١٩٧٢م.
(٥) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني: من علماء المتصوفين وأحد أقطابها. له كتب كثيرة، منها: "الإنسان الكامل" و"تفسير القرآن" و"الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم". توفي في زبيد في اليمن سنة اثنتين وثلاثين وثماني مئة. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٥٠/٤)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣١٠).
(٦) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، ت: صلاح عويضة (ص: ١٢) ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧م.
(٧) إحياء علوم الدين للغزالي، (٤٩٣/٤). ط: دار المنهاج - جدة، ط: ١، ٢٠١١م.
(٨) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥١٣).
(٩) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٤٠٠).

لا يُسَلَّمُ له ولا يجوز الشَّهادة لمعيَّنٍ بجنة أو نار أو نحو ذلك، إلا لمن شهد الله جل جلاله له بذلك في كتابه الكريم أو شهد له رسوله صلى الله عليه وسلم.

– وفي رواية أخرى يتضح فيها أهمية الهاتف عند القوم، وهي ما رُوي عن أبي سعيد الخراز[١]: "بينا أنا عشيَّة عرفةَ قطعني قُرب الله عزوجل عن سؤال الله، ثم نازعتني نفسي بأن أسأل الله تعالى، فسمعت هاتفًا يقول: أبعد وجود الله، تسأل الله غير الله"[٢]. وفي هذه الرِّواية أمرٌ يُتعجب منه، فالقُرب من الله عزوجل لا يكون إلا بما يُحبه الله جل جلاله، والدُّعاء في دين الله عزوجل من أجلِّ العبادات ومعلوم قدره وفضله، وهو مما يُحبه الله جل جلاله ويَرتضيه من عباده. فقد قال الله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر: ٦٠]. فكيف يكون القرب من الله عزوجل مانعًا لما يحبه ويَرضاه ولا يجتمع معه.

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الهواتف:

إن الهواتف من الأمور المقبولة عند أهل السُّنَّة والجماعة، ولم يشتهر عنهم إنكار لها، بل هي مما يُروى في كتبهم ومجالسهم؛ إلَّا أنهم لا يُحلُّون بها حرامًا ولا يُحرِّمون بها حلالًا، وإنما هي مما يُستأنس به. ولا يقولون بصحَّة ادِّعاء مَن قال بمُهاتفة الله عزوجل له بصوتٍ مسموعٍ يقظةً، فهذا من مراتب الوحي الذي اختص به الأنبياء عليهم السلام ولا يشاركهم فيها غيرهم، كما أنهم يُبطلون الهاتف المنسوب للخضر عليه السلام لثبوت الأدلَّة القائلة بأنَّه متقادم الموت. وكل هاتفٍ ثبتت حقيقته وتُيُقِّنَ منه فهو على الكتاب والسُّنَّة معروضٌ، فما وافقهما فهو الحق وما عداه فهو باطل. وكان ممن جمع بعض هذه الرِّوايات ابن أبي الدُّنيا رحمه الله في كتابه "الهواتف".

ما أشار ابن القيم رحمه الله إلى ما يقع عند كثير من أرباب الرِّياضات – وهم الصُّوفيَّة – من سماع الخطاب والهواتف، بأنَّه لا يتعدى إحدى الصور الآتية:

– خطابٌ ملكيٌّ: بأن يخاطبه الملك خطابًا جزئيًّا، وهذا يقع لغير الأنبياء عليهم السلام، كما كان الحال مع الصَّحابي الجليل عمران بن حصين رضي الله عنه وسلام الملائكة عليه[٣]. وهذا الخطاب الملكي لا يكون إلَّا لعباد الله المتقين. فإما يكون خطابًا مسموعًا وهذا مما يندر حدوثه للمؤمنين، وإما يكون مما يلقى في الروع.

---

(١) أبو سعيد الخراز: أحمد بن عيسى، ويسمى بقمر الصُّوفيَّة، وهو من أهل بغداد صحب ذا النون المصري وسريًّا السقطي وبشر بن الحارث وغيرهم، وهو من أئمة الصُّوفيَّة وجلة مشايخهم، كان أحد المذكورين بالورع والمراقبة، وحسن الرعاية والمجاهدة. وأسند الحديث، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء توفي سنة تسع وسبعين ومئتين. انظر: الطبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ٧٣). وتاريخ بغداد للبغدادي (٥/٤٥٤).

(٢) التَّعرُّف (ص: ١١٦).

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج - باب جواز التمتع، (٨/٤٣١) رقم (٢٩٦٤).

– خطابٌ شيطانيٌّ: وهو خطاب مسموع ويعبر عنه بهاتف الجن فيكون إمَّا مسموعًا حقيقةً أو مما يلقى في الروع. وهو من الأمور المشتهرة منذ العهد الجاهلي. ويكثر لدى الصُّوفيَّة.

– خطابٌ خياليٌّ: وهو أقرب لحديث النَّفس يتعاظم في نفس صاحبه حتى يخال بأنَّه سمع صوتًا يهتف به، أو رأى شخصًا يخاطبه. وكل ذلك لا حقيقة له إنما هو من نفسه خرج ولنفسه يعود[١]. قلت: وهذا الأخير مُتحقِّق لدى بعض الصُّوفيَّة، ممن يجهدون أنفسهم بالرِّياضات الشَّاقَّة والجوع والعزلة والصَّمت وقلة النوم، مما يجعلهم في حالةٍ من الهذيان فيقعون في خيالاتٍ متوهمةٍ لا حقيقة لها.

٥- الإلهام:

والحديث في الإلهام كالحديث في الهواتف؛ حيث علو شأنه ومنزلِتِه العظيمة عند الصُّوفيَّة، ومنه تستمد الشَّرائع والمعتقدات، وبه تكون المعاملات، وعن طريقه تعرف أحوال القوم ومآلاتهم الدنيوية والأُخرويَّة، وجاء في كثير من عباراتهم ومرويَّاتهم ما يحث على الأخذ بالإلهام مطلقًا والعمل بمقتضى الوارد القلبي والتَّسليم له دون أدنى اعتراض.

تعريف الإلهام لغة:

"اللام والهاء والميم أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، ثم يُقاس عليه. تقول العرب: التهم الشيء: التقمه. ومن هذا الباب الإلهام، كأنه شيء أُلقي في الروع فالتهمه"[٢].

والإلهام: "أن يُلقيَ اللهُ في النَّفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده"[٣].

الإلهام في اصطلاح الصُّوفيَّة:

"ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل، من غير استدلال بآيةٍ ولا نظر في حُجة، وهو ليس بحُجةٍ عند العلماء إلَّا عند الصُّوفيِّين"[٤].

قال القُشَيْرِيّ في حديثه عن الخواطر التي تَرِدُ على القلب وأقسامها: "...فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النَّفس قيل له: الهواجس، وإذا كان من قبل الشَّيطان فهو الوسواس، وإذا كان من قِبَلِ الله سبحانه وتعالى وإلقائه في القلب فهو خاطر حق..."[٥].

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (١/١١٠ وما بعدها).
(٢) مقاييس اللغة (٥/٢١٧).
(٣) لسان العرب، ابن منظور،(١٢/٥٥٥). ط: دار صادر - بيروت، ط: ٣، ١٩٩٤م.
(٤) التعريفات (ص: ٩١).
(٥) الرسالة القُشيريَّة (ص: ١٥٢).

وقال الغَزَّالي رحمه الله في بيان أنواع المكاشفات التي تكون نتيجةً لانشغال المرء بمراقبة خَطَرات قلبه، فيَأتيه العلم من حيث لا يَحتسب، ومن غير كسبٍ منه: "... فاعلم: أن أرباب القلوب يُكاشفون بأسرار الملكوت تارةً على سبيل الإلهام، بأن يخطر لهم على سبيل الوُرود عليهم من حيث لا يعلمون..."(١). ومزاعمهم في الإلهام كثيرة لا حصرَ لعددها.

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الإلهام:

قال ابن الجوزيّ رحمه الله في بيان منزلة الإلهام عند أهل السُّنَّة والجماعة: "أنَّ الإلهام للشَّيء لا يُنافي العلم ولا يتسع به عنه، ولا ينكر أن الله عزوجل يُلهم الإنسانَ الشَّيء كما قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: "إن في الأمم مُحَدَّثين، وإن يكن في أمتي فعمر"(٢) والمراد بالتحديث إلهام الخير، إلا أن الملهم لو أُلهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه... وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة للعلم والتَّقوى، فيوفق صاحبهما للخير، ويُلهم الرشد. فأما أن يترك العلم، ويقول إنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء..."(٣). فالإلهام مرتبطٌ بالعلم ارتباطًا وثيقًا؛ وهو بمثابة الوحي إلى غير الأنبياء عليهم السلام. ولولا ما لدينا من العلم الصَّحيح ما عرفنا صحيح الإلهام من سقيمه، ولا الحق فيه من باطله، ولا مدى اعتباره والأخذ به، فلا يكون للإلهام اعتبارًا إن خالف ما جاء في صحيح النُّصوص الشَّرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة.

وفي حُكم الأخذ بالإلهام في الأمور الشَّرعيَّة، وغيرها في حال عدم ترجح أحد طرفيْها على الآخر يقول ابن تيميَّة رحمه الله: "إذا اجتهد السَّالك في الأدلَّة الشَّرعيَّة الظَّاهرة فلم ير فيها ترجيحًا، وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حُسن قصده وعمارته بالتَّقوى فإلهام مثل هذا دليل في حقه"(٤). وعليه؛ فيكون مناط الأخذ بالإلهام مرجعه إلى أمرين:

الأول: عدم ترجح شيء في مسألة ما.

والثَّاني: اتصاف المُلْهَم بحُسن القَصدِ والنِّيَّة والعِلم والتَّقوى ليُقبَل منه ادِّعاؤه.

فإن لم يتوفر هذان الأمران في الإلهام فلا حجة فيه ولا يؤخذ به ولا يكون له أي اعتبار.

وبالنَّظر إلى الإلهام الذي تُسَلِّم له الصُّوفيَّة، فإنَّا نجدهم يأخذون به في كل أحوالهم، ويعملون بمقتضى ما يدور في نُفوسهم منه، سواء وافق الأدلَّة الشَّرعيَّة أو خالفها. ويَعملُ به صادقُهم وكاذبُهم. ويلخص العلاَّمة الشِّنقيطي رحمه الله مسألة حُجِّيَّة الإلهام حيث قال: "إن المقرر في علم

---

(١) الإحياء (٣٠٢/١).

(٢) ونص الحديث كما جاء في صحيح البخاري: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب» كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا أبو اليمان، (٨٥٥/٢) رقم (٣٤٦٩).

(٣) لبيس إبليس، عبدالرحمن بن الجوزي، (ص: ٣١٢).ط: دار القلم - بيروت، ط:١، ١٤٤٠ه.

(٤) جامع الرسائل لابن تيميَّة ت: محمد رشاد سالم، (٩٤/٢) ط: دار المدني - جدة الطبعة: الثَّانية ١٩٨٤م.

الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به، لعدم العصمة ولعدم الدَّليل على الاستدلال به، بل ولوجود الدَّليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المُتصوِّفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره... جاعلين الإلهام كالوحي المسموع، كله باطل لا يعول عليه لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنَّه لا يَأمن من دسيسة الشَّيطان، وقد ضُمنت الهداية في اتِّباع الشَّرع، ولم تضمن في اتِّباع الخواطر والإلهامات"(١).

٦- الفراسة:

تعريف الفراسة لغة:

"الفاء والراء والسين أصيل يدل على وطء الشَّيء ودَقِّه. ومن الباب: التَّفرُّس في الشَّيء، كإصابة النَّظر فيه"(٢). "وتَفَرَّس فيه الشيء: تَوَسَّمَه. والاسم الفِراسة، بالكسر. قال ابن الأثير: يُقال بمعنيين: أحدهما: ما يُوقعه الله عزوجل في قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال بعض النَّاس بنوعٍ من الكرامات وإصابة الظَّنِّ والحدس، والثَّاني: نوع يتعلم بالدَّلائل والتَّجارِب والخلق والأخلاق، فتعرف به أحوال الناس"(٣).

وقيل عن الفراسة هي: "استدلالٌ بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقِه وفضائله ورذائله..."(٤).

الفراسة في الاصطلاح:

الفراسة هي: "نورٌ يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب"(٥).

الفراسة في اصطلاح الصُّوفيَّة:

هي: "مُكاشفة اليقين، ومُعاينة الغيب، وهي من مقاماتِ الإيمان"(٦).

الفراسة عند الصُّوفيَّة تختلف عنها في معناها المشتهر، فهي عندهم مكاشفة ومعاينة للأمور الغَيبيَّة، وهي منهجٌ تربويٌّ يُقَوِّمون به سلوك أتباعهم، يَعتمدون فيه ملاحظة الشَّيخ لمُريديه فيَعتبرونه جاسوسًا على القلوب يَطَّلِع على الخَطَرات وما يَرِدُ عليها. وبالفراسة يحكمون على الأشخاص وبها يستدلون على بواطنهم ومآلاتهم، وهذا محض ظنٍّ لا دليلَ عليه. كما أنها مستدامة عندهم ولكل أحد، فلا يختص بها أحد دون غيره، ويؤخذ بها وإن كان صاحبها مجهولًا.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة الشنقيطي (٢٠٣/٤). ط: مجمع الفقه الإسلامي - جدة. بدون تاريخ طبعة.
(٢) مقاييس اللغة (٤٨٥/٤).
(٣) لسان العرب (١٦٠/٦).
(٤) الذريعة إلى مكارم الشَّريعة، للراغب الأصفهاني، ت: أبو اليزيد العجمي، (١٤٥/١).ط: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
(٥) مدارج السالكين (١٩٥/١).
(٦) الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني (ص: ١١٨٤). ونسب ابن القيم رحمه الله هذا القول في مدارجه للداراني (٥٤١/٢).

فقد قال ذو النُّون المصري: "رأيت فتًى عليه أطمارٌ رَثَّةٌ، فتَقَذَّرْتُه، وشهد له قلبي بالولاية، فبقيت بين نفسي وقلبي أَتَفَكَّرُ، فاطلع الفتى على ما في سِرّي، فنظر إليَّ، فقال: يا ذا النون! لا تُبصرني لكي ترى خلقي، وإنما الدُّرُّ داخل الصَّدف..."(١). ولا يخفى ما في هذه الرِّواية من مَناهٍ: كالحُكم على الأشخاص بأشكالهم وما يلبسون واستقذارهم، ومنها تزكية النَّفس صراحة، وتزكية الإنسان لنفسه منهيٌّ عنها، إلا ما تحققت فيه المصلحة واحتيج إليه، قال الله تعالى: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ} [سورة النجم: ٣٢]. ومرويَّاتهم كثيرة في هذا الباب منها ما يُصدَّق ومنها ما يُكذَّب ولا يقبله عقلٌ، ساق طرفًا منها القُشَيْرِيّ في رسالته(٢).

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الفراسة:

الفراسة عند أهل السُّنَّة علمٌ مُعتبر ومعروفٌ، وهي: الاستدلال بالأحوال الظَّاهرة على الأخلاق الباطنة. حيث اتصف كثير منهم بالفراسة، ولهم فيها روايات مبثوثة في كُتبهم، وذكر بعضها الإمام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين عند الحديث عن منزلة الفراسة.

وقال ابن القيم رحمه الله في معناها: "وهي نور يقذفه الله في القلب، فيخطر له الشَّيء، فيكون كما خطر له، وينفذ إلى العين، فيرى ما لا يراه غيرها"(٣).

ومما يروى عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: "خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة، حتى كتبتها وجمعتها"(٤) وكان رحمه الله ممن عُرفَ بشدة فراسته. والفراسة تنشأ في قلب العبد نتيجة القرب من الله وتخلُّصه من العلائق، ومن الذنوبِ والمعاصي التي تكون حاجزًا بينه وبين معرفة الحق وإدراكه. فكُلّما قرُب العبد من ربه جل جلاله رأى من نور الحق ما لا يكون لغيره، ويَصْدُق على ذلك ما جاء في الحديث الصَّحيح: «ما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحَبُّ إليَّ مما افترضتُ عليْهِ، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمعُ بِهِ وبصرَهُ الَّذي يبصرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يبطشُ بِها، ورجلهُ الَّتي يمشي بها، ولئن سألني لأُعطينَّهُ ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّهُ...»(٥).

ولا يُسلم للقول بالفراسة إلَّا بعد عرضها على الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة، فما وافقهما أخذ به، وما خالفهما لا يلتفت إليه.

---

(١) التَّعرُّف (ص: ١١٧).
(٢) انظر: (ص: ٣٥١ وما بعدها).
(٣) الروح لابن القيم، ت: كامل عويضة (ص: ٢٨٠)، ط: دار العنان ـ القاهرة، سنة ٢٠٠٠م بدون تاريخ طبعة.
(٤) آداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ت: عبد الغني عبد الحق، (٣٥/١). ط: مكتبة الخانجي ـ القاهرة، الطبعة الثَّانية ١٩٩٣م.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق ـ باب التواضع (١٦٣٩/٤) رقم (٦٥٠٢).

وذكر ابن القيم رحمه الله ثلاثة أنواع للفراسة:

أ- الفراسة الإيمانيَّة:

وهي نور يقذف في القلب يفرق به بين الحق والباطل، وأصل هذه الفراسة حياةٌ ونورٌ يَهَبُه الله لمن يشاء من عباده الصَّالحين، فلا تكاد تخطئ فراستهم لما في قلوبهم من صلاح وتقوى. وهي بحسب إيمان العبد، فمن قَوِيَ إيمانه كان أَحَدَّ فراسةً من غيره. ولا تكون هذه الفراسة إلَّا لأهل الإيمان.

ب- فراسة أهل الرِّياضة والجوع والسَّهر والتَّخلِّي:

وهي فراسة يستوي فيها المؤمن والكافر، ولا يستدل به على حقٍ ولا يعرف بها باطل، وإنما تَحصُلُ لمن خَلَا من العلائق والمُنغِّصات، فيصفو ذهنه ويكون شديدَ التَّركيز والتَّمييز لما يعرض له لعدم انشغاله. ولا تثبت بها ولاية ولا صدق إيمان وهي مما يغتر به كثير من الجُهَّال.

ج- الفراسة الخَلْقِيَّة:

وهي التي يُستدل بها على الخُلُق بالنَّظر للخَلْق لما بينهما من ارتباط جعله الله فيهما، وفيها أَلَّفَ الأطبَّاء وتمرَّس بها آخرون، فهي فراسة مكتسَبة ناتجةٌ عن إدامة النَّظر والخبرة والرَّبط بين الأسباب ومسبباتها(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله في بيان الفراسة المعتبرة في الشَّرع وما يُضادُّها: "ومن زعم الإشراف على الخلْق حتى يعلم مقاماتهم، ومقدارهم عند الله بغير الوحي المُنَزَّل من قول الرَّسول صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الملَّة... ومن ادَّعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وأنهم على ماذا يموتون ويختم لهم، بغير الوحي من قول الله وقول رسول صلى الله عليه وسلم فقد باء بغضب من الله

٧- الرُّؤى المناميَّة:

تعريف الرُّؤى لغةً:

ومعنى الرُّؤى معروف مُشْتَهر، فالرُّؤى جمع رؤيا والرُّؤيا: (ما رأيته في منامك)(٢).

تعريف الرُّؤى اصطلاحًا:

أفضل مَنْ عرَّف الرُّؤيا بتعريفٍ شاملٍ يبين حقيقتها هو القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله حيث قال: "الرُّؤيا إدراكات عَلَّقَها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملَك أو شيطان، إما بأسمائها أي حقيقتها، وإما بكناها أي بعبارتها، وإما تخليط..."(٣)، ويقول ابن القيم

(١) انظر: مدارج السالكين (٥٤١/٢ وما بعدها).
(٢) لسان العرب (٢٩٧/١٤).
(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ت: محب الدين الخطيب (٣٦٩/١٢) ط: المكتبة السلفية - القاهرة، الطبعة الثَّالثة ١٤٠٧ه.

رحمه الله في معنى الرُّؤيا: "فالرُّؤيا أمثالٌ مضروبةٌ يضربها الملَك الذي قد وكلَهُ الله بالرُّؤيا ليستدلَّ الرَّائي بما ضرب له من المثل على نظيره..."(١).

الرُّؤى المناميَّة عند الصُّوفيَّة:

إنَّ للرُّؤى المناميَّة شأنًا عظيمًا ومنزلةً كبيرةً لدى الصُّوفيَّة، فهي مصدر مهم من مصادر التَّشريع والعقائد والعلاقات والمعاملات، وإليها يرجعون في شتى أمورهم وهي حاضرة في جميع مصنَّفاتهم، فإمّا أن تُفرد ببابٍ كاملٍ وإمّا أن تدرج ضمن غيرها، ولا تكاد تخلو مجالسهم من مرويَّاتهم في الرُّؤى وهي مما يفخر القوم به. والرُّؤى عند الصُّوفيَّة علمٌ يقينيٌّ لا يتطرق إليها الشك ولا يقبلون فيها رد وعليها يستندون بنشر ضلالتهم وترويج بضاعتهم الكاسدة. وأكثر ما تدور عليه رؤاهم المناميَّة رؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم، ورؤية الخضر عليه السلام، وكذلك رؤية مشايخهم وكبرائهم الأحياء منهم والأموات. ويستمدون من هذه الرُّؤى ما يعرفون به أحوال الموتى، ومآلاتهم، ومنزلة شيوخهم وفضائلهم، كما يجعلون رؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم مما يصححون به ما ضعف من أدلَّتهم، ويستمدون منه صلى الله عليه وسلم شرائعهم، وأورادهم، وما ابتدعوه من أحزابٍ وأورادٍ، بغير ما جاءت به السُّنة الصَّحيحة.

والرُّؤى عند الصُّوفيَّة هي نوعٌ من أنواع الكرامات التي لا تعطى لأحد، بل لا بد لها من شروط ذكروها من خلال ما يرونه من رؤاهم منها؛ إطالة السهر، ومجافاة الفرش، وتعذيب النفس، فالنوم عندهم ينقسم إلى نوم غفلة ونوم عادة وهو مذموم عندهم، فهذا النوم يجلب لهم الحسرات. والنوم الذي يعقب هذا السهر هو نوم غلبة، تغلبهم عليه أنفسهم؛ وهو ما يجلب لهم تلك الرُّؤى التي يزعمون. ومن عجيب ما تكرر في مرويَّاتهم قول الشبلي(٢): "اطلع الحقُّ على الخلق، فقال: من نام غَفَل، ومن غَفَل حُجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح بعدها حتى كان لا يأخذه النوم"(٣). ولا يخفى ما في هذا القول من غلوٍّ وتَنطُّعٍ ومغالطات تخالف الفطرة التي فطر الله جلّ جلاله عليها الخَلْق، وأن النوم من حاجاتهم الأساسية التي لا يستقيم حالهم إلا بها بلا إفراط ولا تفريط. ولا أعظم من محبة النَّبي صلى الله عليه وسلم لربه ومحبته القرب منه جلّ جلاله وهو من هو في عبادته، ومع ذلك صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث الثَّلاثة النفر الذين سألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم وكأنهم تَقَالُّوها: «أما واللهِ إنِّي لأخشاكم لله وأتْقاكم له، لكنِّي أصومُ وأفطرُ، وأصلِّي

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، ت: عبد الرحمن الوكيل، (٢١٢/١). ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، سنة ١٩٦٩م بدون تاريخ طبعة.

(٢) أبو بكر الشبلي الصوفي واسمه دلف بن جحدر ويقال ابن جعفر ويقال اسمه جعفر بن يونس، وهو خراساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد، صحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، وصار أوحد وقته حالا وعلما، وكان عالما فقيها على مذهب مالك عاش سبعا وثمانين سنة، وتوفي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الصُّوفيَّة للسلمي (ص: ١١٥)، وتاريخ بغداد (٥٦٣/١٦).

(٣) الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥٥٩).

وأرقدُ، وأتزوَّجُ النِّساء»(١).

والرُّؤى مَرتَعٌ خصب للصُّوفيَّة في استمداد مرويَّاتهم فهم يدعون فيها رؤيتهم لله جلّ جلاله ورؤية النَّبي صلى الله عليه وسلم وكذلك رؤية صحابته رضي الله عنهم والسَّلف الماضين، فيسألونهم ما يشاؤون ويَتَلَقَّوْن منهم الوصايا(٢).

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الرُّؤى:

إنَّ للرُّؤى عند أهل السُّنَّة منزلةً عظيمةً لا يُنكرها إلَّا جاهل، فقد اعتنى القرآن بقصِّ رؤى الأنبياء وتأويلاتها. وما قصَّة رؤيا نبيا الله جلّ جلاله إبراهيم ويوسف عليهم السلام إلَّا خير دليل على عناية القرآن الكريم بالرُّؤى. وهي أول ما بُدئ الوحي به، وكان من عادة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم سؤال أصحابه عن رؤاهم فيؤولها لهم. وقد بيّن صلى الله عليه وسلم المنهج النَّبوي في التَّعامل مع الرُّؤى بقوله صلى الله عليه وسلم: «الرُّؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدُكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فلْيَتَعَوَّذْ بالله من شرِّها، ومن شرِّ الشَّيطان، وليَتْفُلْ ثلاثًا، ولا يُحدِّث بها أحدا، فإنها لن تَضُرَّه»(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا اقترب الزَّمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النُّبوَّة»(٤).

وقيل في حقيقة الرُّؤى: "والصَّحيح ما عليه أهل السُّنَّة أن الله يخلق في قلب النَّائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها علما على أمور أُخرى..."(٥).

والرُّؤى تنقسم إلى ثلاثة أقسام، منها: ما هو حق من الله جلّ جلاله فتأتي كبشارة أو تنبيه للمؤمن كرؤيا الأنبياء والصَّالحين وهي ما جاء في الحديث بأنها من المُبشِّرات قال صلى الله عليه وسلم: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»(٦)، وجاء أنّ: «الرُّؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشَّيطان، وبشرى من الله، فمن رأى شيئًا يكرهه فلا يَقُصَّه على أحدٍ وليقمْ فليصلِّ»(٧)، فمنها: ما هو من تلاعُب الشَّيطان بابن آدم ليُحزِنَه ويُوَسْوِسَ له ويُنَكِّدَ له معيشته إن اتبعها، ومنها: ما هو حديثُ نفسٍ يَكون في اليقظةِ، ويُرى في المنام، فلا يُلتفت له ولا يبحث عن تعبيره(٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم (١٨٣٠/٤) رقم (٧٣٠١).

(٢) انظر: الرسالة القُشيريَّة (ص: ٥٦١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير - باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، (١٧٦٩/٤) رقم (٧٠٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير - باب القيد في المنام، (١٧٦٣/٤) برقم (٧٠١٧).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب،(٣٦٩/١٢). ط: المكتبة السلفية - القاهرة، ط: ٣، ١٤٠٧هـ.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المبشرات، (١٧٥٦/٤) رقم (٦٩٩٠).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير - باب القيد في المنام (١٧٦٣/٤) رقم (٧٠١٧).

(٨) انظر: الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، لسهل بن رفاع العتيبي (ص: ١١١ وما بعدها). ط: دار كنوز أشبيليا - الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

والرُّؤى عند أهل السُّنَّة يُستأنس بها ولا يُعول عليها، ولا تُبْنى عليها أحكام، ولا يُتَّخذ منها تشريع. وهي تُعرض على الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة وما جاء عن السلف الصَّالح في تعبيرها، فما وافق الحق أخذ به بما يناسبه، وما خالف الحق نُبِذ كأن لم يكن ولا يلتفت إليه.

وعليه: فإنا نجد أنَّ الرُّؤى عند الصُّوفيَّة مغايرةٌ في حُكمها وثمراتها عند أهل السُّنَّة والجماعة. فهي عندهم مصدر من مصادر التَّشريع، مصدرًا يقينيًا لا يقبل ردًّا ولا شكًّا ولا ارتيابًا، وإليه يَتحاكمون وفيه يتخاصمون، ويتعاملون معها كتعاملهم مع الوحي من حيث الاستدلال والتَّشريع.

٨- الإسراءات والمعاريج:

تعريف الإسراء والمعراج لغة:

الإسراء: من (السُّرى: سَيْرُ اللَّيلِ، وكلُّ شيءٍ طَرَقَ ليلًا فهو سارٍ. وسَرَى به وأَسْرَى به سواءٌ)[١].

المعراج: من (المعارج: المصاعد والدَّرج. وعرج في الدَّرجة والسُّلَّم يعرج عروجًا؛ أي ارتقى)[٢].

تعريف الإسراء والمعراج اصطلاحًا:

الإسراء والمعراج معروفٌ، وهو: إشارة لِما وقع للنَّبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة حيث أُسريَ به من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن ثَمَّ عُرِجَ به إلى السَّماء السَّابعة إلى سِدرة المنتهى، مِصداقًا لقوله تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [سورة الإسراء: ١].

الإسراء والمعراج عند الصُّوفيَّة:

لم يَأتِ ذِكرُ الإسراء الصُّوفي في كتبِ ورواياتِ الصُّوفيَّة كمعنى الإسراء في حادثة الإسراء عند النَّبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كان مدار الحديث عندهم على عروج المُتصوِّفة إلى السَّماوات، وإن جاء لفظ الإسراء في مَرويَّاتهم فهم يقصدون به العروج للسَّماء لا السير ليلًا كما هو معروف.

والمعراج عند الصُّوفيَّة هو معراجٌ روحيٌّ، يُحاكون فيه معراج النَّبي صلى الله عليه وسلم، بل ويَقتبسون منه ألفاظَه ومعانيَه، وهو عندهم يُصوِّر حركة التَّرقِّي ولا يَقتصر على التَّرقِّي الحِسِّيّ في السَّماوات، بل يدخل فيه التَّرقِّي النَّفسيُّ والتَّدرُّج في تطهير النَّفس من العلائق حتى تصل للمقام الأسمى[٣]، ومنهم من يَدَّعي المعراجَ الجسديَّ والرُّوحيَّ معًا.

---

(١) العين (٢١٩/٧).
(٢) لسان العرب (٣٢١/٢).
(٣) انظر: مقدمة كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى لابن عربي، ت: سعاد الحكيم (ص: ٢٨). ط: دندرة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

والمعراج أحد مصادر التَّشريع عند البعض منهم، حيث لا يقول به البعض. ومن هذا المعراج يَستلهمون تفسير الآيات ومعرفة الأسماء والصِّفات، وأسماء الأنبياء وصفاتهم، كما يُدلِّلون من خلاله على فضائلهم وعلوّهم على غيرهم من العباد؛ فالمعراج لا يكون إلَّا لمن وصل منهم لمنزلةٍ عظيمةٍ يختص بها دون غيره. ومن أشهر رواياتهم في المعاريج ما يَتداولونه جيلًا بعد جيلٍ: معراجُ أبي يَزيدَ البِسْطامِيّ وهو أوَّل المُصرّحين بالمعراج الصُّوفيّ، فقد كان يقول بأنَّ له معراجًا كمعراج النَّبي صلى الله عليه وسلم[1]. وممن تبع البِسْطامِيّ بهذا الافتراء المنكر شرعًا وعقلًا الجيليُّ وابنُ عربي[2]، وغيرهما من الصُّوفيَّة. ومن مرويَّاتهم في المعراجِ السَّماويّ قول أحدهم: "كثيرًا ما كان يعرج بي فوق العرش المجيد... وأعلم أنِّي كلما أريد العروج يَتيسَّر لي، وربما يَقع من غير ما أقصد"[3].

قول أهل السُّنَّة والجماعة في الإسراء والمعراج:

عَدَّ كثيرٌ من أهل العلم الإسراء والمعراج من خصائص النَّبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الباهرة. فقال ابن أبي يعلى الفَرَّاء[4] رحمه الله في اعتقاد أهل السُّنَّة في معجزة الإسراء والمعراج، وأنَّها مما اختصَّ الله عزوجل بها نبيَّه صلى الله عليه وسلم مُظهرًا بها إعجازَه للخلْق: "وله صلى الله عليه وسلم الآية العظمى التي ظهرت له في الأرض والسَّماء، التي لم يَشركه فيها بشر، ولم يبلغ الذي بلغه أحد من النُّذُر،...أن الله قد جمع له فيها شرف المنازل والرتب، ما فضله بها على الأوَّلين والآخرين"[5]. وقيل: "من خصائصه صلى الله عليه وسلم... بما اختصه الله سبحانه وتعالى بـ ((المعراج)) إلى السَّماوات العُلى إلى سِدرة المنتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام..."[6]. وقد ثبت الإسراء والمعراج للنبيّ صلى الله عليه وسلم بأدلةٍ متواترةٍ لا يَسعُ المقامُ لسردها.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس (ص: ١٦٢).

(٢) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الصوفي المشهور، ولقبه محيي الدين كما يلقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر. ولد بالأندلس سنة ستين وخمس مئة وقرأ القراءات، صاحب كتاب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرها من المؤلفات المليئة بآراء الصُّوفيَّة الغالية قيل: كان ظاهري المذهب في العبارات، باطني النظر في الاعتقادات، توفي سنة ثماني وثلاثين وست مئة بدمشق. انظر: تاريخ أربل (٦٤٠/٢). وفوات الوفيات (٤٣٥/٣).

(٣) المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية لمحمد الأمين الكردي (ص: ١٨٤)، ط: السعادة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ

(٤) محمد بن محمد بن الفراء أبو الحسين ابن القاضي أبي يعلى الفقيه الحنبلي، الإمام، العلامة، الفقيه، القاضي، ولد سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، صنف في الأصلين والخلاف والمذهب، كان يبالغ في السُّنة، ويلهج بالصفة، وكان كثيرا ما يتكلم في الأشاعرة ويُسمعهم، وجمع طبقات الفقهاء الحنابلة. وتوفي سنة ست وعشرين وخمس مئة. انظر: وسير أعلام النُّبلاء (٦٠١/١٩)، والوافي بالوفيات (١٣٦/١).

(٥) الاعتقاد لابن أبي يعلى الفراء، ت: محمد عبد الرحمن الخميس، (٣٧/١) ط: دار أطلس الخضراء - الرياض الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٦) لوامع الأنوار البهيَّة لأبي العون محمد السفاريني (٢٨٠/٢) ط: مؤسسة الخافقين - دمشق الطبعة: الثَّانية ١٩٨٢م

ومما مضى معنا يتضح: أن مفهوم المعراج الصُّوفي الذي يقوم على ما يتناقل من خرافاتِ القوم وأوهامهم لا دليل صحيح عليه، بل الأدلَّة الصَّحيحة كلها تنفي أن يكون الإسراء والمعراج لأحد من الخلق بعد النَّبي صلى الله عليه وسلم وأنه مختص به وهي إحدى مُعجزاته؛ فكيف يكون ما هو معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يشاركه بها غيره من الخلق، فادِّعاء ذلك يَنفي عِلَّة الإعجاز، فالمعجزة: أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله جلّ جلاله على يد أنبيائه لبيان صدقهم.

ومدار رواياتهم في المعاريج إما أن تكون منامًا، أو حالة هي بين اليقظة والنوم، وهذه الأحوال لا يعول عليها، ولا يسلم للقائل بها؛ فهي مَحَلُّ اضطراب لا استقرار، كما أنها لا تُبين كيفيَّة العروج التي يدعونها. ولا يعلم مدى صدق القائلين بها أصلًا.

وفي ختام وسائل الحصول على العِلم اللَّدُنِّي عند الصُّوفيَّة يُوجِز لنا ابن القيم رحمه الله حقيقة العِلم اللَّدُنِّي بقوله: "والعِلم اللَّدُنِّي الرَّحماني: هو ثمرة هذه الموافقة والمحبَّة التي أوجبها التَّقرُّب بالنَّوافل بعد الفرائض، واللَّدُنِّي الشَّيطاني: هو ثمرة الإعراض عن الوحي وتحكيم الهوى والشَّيطان"[١].

(١) مدارج السالكين (٢/٥٣٤).

الخاتمة

وبعد هذه الدِّراسة الَّتي أسأل الله العليَّ العظيم، أن يجعل فيها القَبول والنَّفع للإسلام والمسلمين عامَّةً، وللصُّوفيَّة خاصَّةً، وأن أكون قد وفِّقت فيها إلى ما يُحبُّه الله ويرضاه، خرجتُ ببعض النَّتائج.

أهمُّ النتائج:

١- أن مصادر التَّلقِّي والاستدلال عند أي طائفة هي حجر الأساس التي تُبْنى منه الأفكار والعقائد.

٢- عدم وجود مرجع ثابت عند الصُّوفيَّة يُبيّن المصادر الأساسية للتلقي والاستدلال، أدى إلى الانحراف والضلال الذي نتج عن ذلك بين طوائفهم.

٣- تعمد الصُّوفيَّة إلى جعل الكتاب والسُّنَّة مِنْ مصادر التَّلقِّي والاستدلال في وصاياهم لأتباعهم، في حين أنَّ الواقع يُخالف تلك الوصايا، إمَّا مِنْ باب التُّقية غير المصرَّح بها، أو خوفًا مِنَ التَّشنيع والازدراء مِنْ عامَّة المسلمين.

٤- العلم اللَّدُنِّيُّ هو أساس المعرفة والاستدلال عند الصُّوفيَّة، وإن اختلفت وسائل الحصول عليه، وهو مرتعٌ خصبٌ لنشر خرافات الصُّوفيَّة، واختراعات كراماتهم.

٥- خالفت الصُّوفيَّة في كثير من المفاهيم الصحيحة الشرعية المقبولة التي أصبحت وسائل للانحراف والضلال عندهم، كالقول بالإلهام، والهواتف، والفراسة، وغيرها.

٦- أن مشكلة هذه المصادر أن أصحابها جعلوها بمنزلة نصوص الوحي إن لم تكن أعلى منها.

٧- غلو الصوفية في التعامل مع هذه المصادر وجعلها بمنزلة النصوص الشرعية.

٨- اعتقاد مثل هذه الأمور فتح المجال للابتداع في الدين وتشريع عبادات ما أنزل الله بها من سلطان.

التوصيات:

١- التنبه إلى أن مصدر التلقي والاستدلال الصحيح هو الوحي المتمثل بالكتاب والسنة.

٢- الحرص على تنقية وتنقيح التراث الإسلامي مما يشوبه من خرافات وبدع الصوفية في باب مصادر الاستدلال..

٣- إفراد بعض وسائل الكشف الصوفي ببحث مستقل كالإلهام والفراسة واستقراء أقوال أهل السنة والجماعة فيها ونقد المخلفات الشرعية فيها.

فهرس المراجع

إحياء علوم الدين للغزالي، ط: دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

آداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ت: عبد الغني عبد الحق، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثَّانية ١٩٩٣م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة الشنقيطي، ط: مجمع الفقه الإسلامي – جدة. بدون تاريخ طبعة.

الاعتقاد لابن أبي يعلى الفراء، ت: محمد عبد الرحمن الخميس، ط: دار أطلس الخضراء – الرياض الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

الأعلام، خير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٠م.

أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، ت: عبد الرحمن الوكيل، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، سنة ١٩٦٩م بدون تاريخ طبعة.

إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم، ت: علي بن حسن الحلبي، (٢٢٩/١) ط: دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤.

الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، ت: صلاح عويضة ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصُّوفيَّة للشعراني، ت: عبد الباقي سرور ومحمد الشافعي، ط: مكتبة المعارف – بيروت، ١٩٨٨م بدون تاريخ طبعة.

تاريخ إربل، ابن المستوفي، ت: سامي بن سيد خماس الصقار، ط: دار الرشيد للنشر، العراق، عام ١٩٨٠م.

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ٢٠٠م.

تاريخ بغداد، البغدادي، ت: الدكتور بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢م.

تاريخ دمشق، ابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف، أبي بكر الكلاباذي، ت: آرثر جون أربري، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٤م.

التعريفات، الجرجاني، ت: محمد المرعشلي، ط: دار النفائس – بيروت، ط: ٣، ٢٠١٢م

تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي، ط: دار القلم – بيروت، ط:١، ١٤٤٠هـ.

التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ت: عبد الحميد صالح حمدان. ط: عالم الكتب – القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

الثقات، ابن حبان، ط: دائرة المعارف العثمانية – الهند، ط: ١، ١٩٩٧م

جامع الرسائل لابن تيميَّة ت: محمد رشاد سالم، ط: دار المدني – جدة الطبعة: الثَّانية ١٩٨٤م.

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت: عبد الله التركي وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٦ م.

الذريعة إلى مكارم الشَّريعة، للراغب الأصفهاني، ت: أبو اليزيد العجمي، ط: دار السلام – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

الرسالة القُشيريَّة القُشيري، ت: القاضي زكريا الأنصاري، ط: دار جوامع الكلم –القاهرة ٢٠٠٧م.

الروح لابن القيم، ت: كامل عويضة، ط: دار العنان – القاهرة، سنة ٢٠٠٠م بدون تاريخ طبعة.

الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، لسهل بن رفاع العتيبي ط: دار كنوز أشبيليا – الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

سر الأسرار لعبد القادر الجيلاني ت: عبد الرحيم السايح وتوفيق وهبه ط: مكتبة الثقافة– القاهرة؛٢٠١٦م.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ. طبقات الأولياء، ابن الملقن، ت: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، ط: مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط: ٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ طبعة.

صحيح البخاري، ت: صدقي جميل العطار، ط: دار الفكر – بيروت ٢٠٠٠م،

صحيح مسلم، ت: خليل مأمون شيحا، ط: دار المعرفة – بيروت. ط:٧، ٢٠٠٠م

الطبقات الصوفية، عبدالرحمن السلمي، ت: أحمد الشرباصي، ط: مؤسسة دار الشعب – ط٢، ١٩٩٨م

الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني،. ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٣، ٢٠١٨م.

طبقات المفسرين، أحمد اللأدنه وي، ت: سليمان بن صالح الخزي، ط: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط: ١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م

فتح الباري لابن حجر العسقلاني ت: محب الدين الخطيب ط: المكتبة السلفية – القاهرة، الطبعة الثَّالثة ١٤٠٧هـ.

الفتوى الحموية الكبرى لابن تيميَّة، ت: حمد التويجري. ط: دار الصميعي – الرياض، الطبعة الثَّانية ٢٠٠٤م.

فوات الوفيات، محمد الكتبي، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت. بدون تاريخ طبع

قوت القلوب لأبي طالب المكي، ت: محمود إبراهيم الرضواني. ط: دار التراث – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ت: محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة ١٩٩١م.

كتاب العين، للخليل الفراهيدي ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال. بدون تاريخ طبعة.

كتاب اللُّمع، أبي نصر السَّرَّاج الطُّوسي، ت: محمد أديب الجارد، ط: دار الفتح – الأردن، ط: ١، ٢٠١٦م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب الكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثَّانية ١٩٩٨م.

الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، لأبي الفضل الشاذلي. ت: أحمد السايح وتوفيق وهبة. ط: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي، ت: خليل المنصور، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

لسان العرب، ابن منظور ط: دار صادر – بيروت، ط: ٣، ١٩٩٤م.

لواقح الأنوار القدسية – الطبقات الوسطى، عبدالوهاب الشعراني، ت: محمد نصار، ط: دار الإحسان– القاهرة، ط: ١، ٢٠١٧م.

لوامع الأنوار البهيَّة لأبي العون محمد السفاريني ط: مؤسسة الخافقين – دمشق الطبعة: الثَّانية ١٩٨٢م

مجموع الفتاوى مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، ت: عامر الجزار وأنور الباز، ط: دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الثَّانية ٢٠٠١م.

مدارج السالكين لابن القيم، ت: عامر بن علي ياسين، ط: دار ابن خزيمة – الرياض. الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

المصادر العامة للتلقي عند الصُّوفيَّة. صادق سليم صادق، ط: دار التوحيد – الرياض، الطبعة الثَّانية ٢٠١٦م.

معجم اصطلاحات الصُّوفيَّة، لعبد الرزاق الكاشاني، ت: عبد العال شاهين. ط: دار المنار – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ للشيخ بكر أبو زيد ط: دار العاصمة – الرياض، ١٩٩٦م

معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى وآخرون، ط: دار الدعوة – القاهرة، ط: ٢، ١٩٧٢م.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، (٣٠٣/٢)، ط: زمزم للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، ١٨١/٥).ط: مكتبة الخانجي – القاهرة ط: ٣، ١٩٨١م.

مقدمة كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى لابن عربي، ت: سعاد الحكيم ط: دندرة للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، ت: يحيى الثمالي ط: دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى.

المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية لمحمد الأمين الكردي ط: السعادة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ

الموسوعة الصُّوفيَّة لعبد المنعم الحفني، مطبعة مدبولي –القاهرة، ١٩٨٩م.

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي ت: رشيد بن حسن الألمعي، ط: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

الوافي بالوفيات، الصفدي ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط: دار إحياء التراث – بيروت ط:١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.